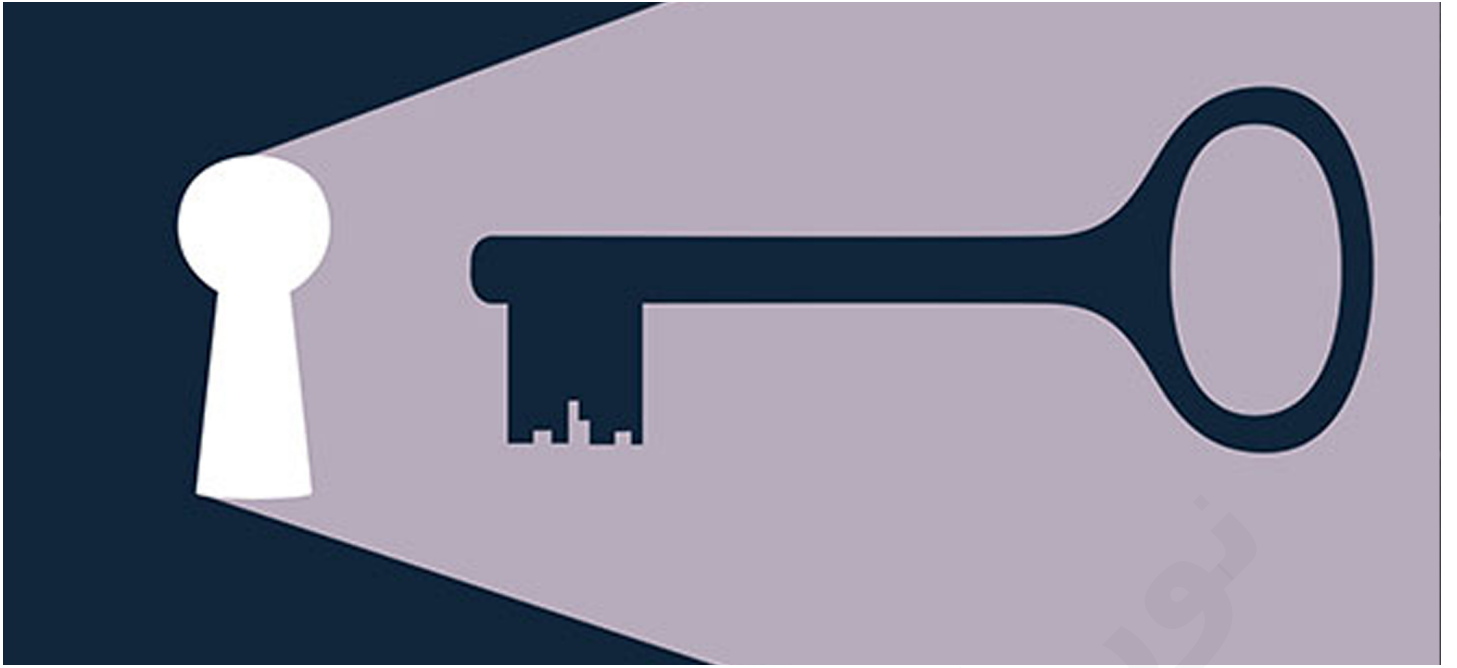




235-فأسرّها يوسف في نفسه!

الخطبة و النكاح

2026-07-10

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرّية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: لم تكن لحظة عادية ولا عابرة، تلك اللحظة التي جمعت يوسف عليه السلام بإخوته، بعد عشرات السنين من الغياب، كانت لحظة تختزل مرارة سنوات طويلة، تختزل خوف طفل وجد نفسه وحيداً في الجب، لا يدري ما يفعل به ولا يدري أين مصيره؟ تختزل سنوات من العبودية في قصر العزيز، تختزل ساعات القلق من تُهمّم باطلة، ألجّت بيوسف ظلماً، تختزل عناء السجن وما فيه من الأذى وفقد الحرية، تختزل مرارة البُعد عن الأهل والأب والأم والوطن، ربما كان عليه السلام يطمع في هذا اللقاء، أن يرى وجوه إخوته نادمة، أو أن يسمع منهم كلمات الاعتذار والاعتراف بالذنب، ويرى في عيونهم نظرات الندم على ما أسلفوا، فإذا به يسمع منهم اتهاماً باطلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا إِن تَشِيرُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرُّ مَكَاتٍ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77)
(سورة يوسف)

بعد كل ما فعلوه به، يتهمونه بالسرقه زوراً وبهتاناً، ننتظر هنا أن ينفجر الكريم ابن الكريم غضباً، وأن يردّ إساءتهم بإساءة، أو أن يلقي بهم في غياهب السجون، وهو من هو في مصر، لكن القرآن الكريم يسجّل هذه اللحظة، ويسجّل حال يوسف الصديق عليه السلام (فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبّيها لهم) ثم قال في نفسه دون أن يُسميهم: (أنتُمْ شَرُّ مَكَاتٍ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ).

مهارة التغافل وعبادة التواضع:

أيها الإخوة الكرام: كم نحن اليوم بحاجة إلى أن نتعلّم مهارة التغافل، إلى أي مدى تستطيع أن تتغافل عن زلة أخيك، أو أن تسمع ثم تتظاهر أنك لم تسمع، أو أن ترى لكنك تتظاهر أنك لم تر، هذه مهارة اسمها مهارة التغافل، ثم كم نحن بحاجة إلى عبادة التغافل؟ مهارة التغافل وعبادة التغافل، أن يغفر بعضنا لبعض، أن يتجاوز بعضنا عن بعض، كيف لا ونحن نؤمن بالله جلّ جلاله.

أتقن يوسف عليه السلام مهارة التغافل:

أيها الإخوة الأحباب: أتقن يوسف عليه السلام التغافل حين أسرّها في نفسه، سمعهم يتحدثون بها، يتهمونه بالسرقة، فأسرّها في نفسه عليه السلام، وتغافل ثانية حين لم يُذكرهم بجرمتهم في المرة الثانية من اللقاء، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

(سورة يوسف)

ولم يقل لهم: وقد أحسن بي إذ أخرجني من الحبّ، برّبكم أيهما أخطر، السجن أم الحبّ؟ الحبّ لا نجاة منه في الأعمّ الأغلب، أمّا السجن فمدّة ويخرج، لكنه لم يُرد أن يُذكرهم بجرمتهم، فتغافل عن الحبّ وذكر السجن، وأتقن التغافل مرّةً ثالثة حين قال: (من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي) فنسب ما حصل إلى الشيطان، ولم يقل لهم: من بعد ما فعلتم بي ما فعلتم، وقال: إخوتي، نسبهم إلى نفسه ولم يتخل عنهم، هذه فضيلة التغافل، ثم بعد ذلك أتقن عليه السلام عبادة التغافل فيمجرّد أن قالوا له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَالِيَةً وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)

(سورة يوسف)

ولم يقل لهم ألم أفعل؟ ألم أحسن؟ ولم يُذكرهم بشيء من الماضي.

أيها الإخوة الأحباب: نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، كان قادراً وهو في منصبه في مصر، كان قادراً على ردّ الكلمة بمثلها، وعلى كشف ما أخفاه لسنوات، لكن الصديق الكريم اختار الصمت والتغافل، ليس صمت ضعف، لكنه صمت المؤمن الذي يزن كلماته بميزان التقوى، ويرجئ ردّ الفعل إلى لحظة تهدأ فيها الروح وتستقيم فيها النفس.

المؤمن لا يردّ الإساءة بمثلها:

أيها الإخوة الكرام: المؤمن حين يؤذي من قريب أحسن إليه، أو من صديق صرّه، لا يجعل الأذى يسليه خُلُقه، ولا يردّ الإساءة بمثلها، عن ابن عباس رضي الله عنهما:

{ قَدِمَ عُثَيْنَةُ بْنُ جَحْصٍ بْنِ خَدِيفَةَ بْنِ بَدْرِ - قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ فِي بَيْتِ ابْنِ أَخِيهِ - فَتَرَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْخُرَّ بْنَ قَيْسِ بْنِ جَحْصٍ، وَكَانَ مِنَ النَّعْرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ - كَانَ قَرِيبًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُھُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُثَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ - عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ - أُرِيدُ أَنْ أَقَابِلَهُ - قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُثَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا نُعْطِينَا الْجَزَلَ - أَنْتَ لَا نُعْطِينَا الْكَثِيرَ - وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ - يَكْلُمُ الْفَارُوقُ عُمَرَ الَّذِي ذَاغَ عَدْلُهُ فِي الْخَافِقِينَ - فَعَصَبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الْخُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: 199]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللَّهِ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَفَاقًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ {

(صحيح البخاري)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)

(سورة الأعراف)

{ وَإِنْ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، فوالله - كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما - ما جاورها عُمُرُ حَبْنٍ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ
(الله)، {

هذه كلمة فيها مدح عظيم، أن يُقال قُلاَنٌ وَقَافٌ عند كتاب الله، وَقَافٌ عند شَيْءٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا قلت له: قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقف فوراً، لا يتابع، لا يتماذى، لا يستشيط غضباً. وانظروا إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَطَهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ
قَالَ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ۖ قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ (3)

(سورة التحريم)

عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في اللوم والعتاب:

ما الذي حصل؟ النبي صلى الله عليه وسلم أسر لحفصة رضي الله عنها كلاماً، سبباً بينه وبينها، واتمناها عليه، فحدثت حفصة بهذا السبب عائشة رضي الله عنها، فأظهر الله هذا السبب، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن حفصة حدثت عائشة بكذا وكذا (وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ) أخبرته به عائشة (وَأَطَهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) قال: (عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ) فالنبي صلى الله عليه وسلم عرف حفصة ببعض ما أوحى عليه، وترك البعض الآخر وتغافل عنه تكزماً منه، وهي قد أفشت السبب. قال المُفسِّرون: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ببعض ما يُريد، فأخبرت عائشة ولم يُخبرها بكل ما حصل منها، لم يُخبر حفصة بكل ما حصل منها، حُبّاً بها، وحياءً وكرماً منه صلى الله عليه وسلم، قال: لأنَّ عادة الفضلاء التغافل عن الزلات، والتقصير في اللوم والعتاب (عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ) هو يعلم الكثير ليقوله، لكن قال لها البعض ثم أعرض عن الآخر، تكزماً منه وحياءً لكي لا يجرح مشاعرها، هذه فضيلة التغافل. أيها الإخوة الكرام: كان سفيان يقول: "ما زال التغافل من فعل الكرام" الكرام يتغافلون.

حدثني أخٌ لقا قرأ عنوان الخطبة: "فأسرَّها يُوسفُ في نفسه" قال لي: والله دخلت إلى أبي وهو مُسجى وقد فارق الدنيا، فأردت أن أقول شيئاً وأنا أودع جثمانه، قال لي: فقلت: جزاك الله عتاً خيراً كم كنت ترى من أشياءٍ وتتغافل عنها، فعلمتنا فضيلة التغافل.

أيها الإخوة الكرام: يقول الحسن: "ما استقصى كريم" الكريم لا يستقصي العيوب، لا يبحث عن الزلات، الكريم لا يُريد أن يسبُر الأغوار ويصل إلى أن يُخرج، وأن يصل إلى زلات الناس وأن يطلع على غوراتهم، "ما استقصى كريم" الكريم يتغافل عن الزلات ويُعرض عنها، قيل للإمام أحمد: "العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل، فقال أحمد: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل" وقال مُعاوية رضي الله عنه: "العقل مكيالٌ ثلثة القطن - الوعي، الذكاء، القطن - وثلثاه التغافل".

موقف التغافل في قصة ألب أرسلان:

من مواقف التغافل أيها الكرام: أن "ألب أرسلان" وهو القائد السلجوقي الذي انتصر على بيزنطة في المعركة الفاصلة "ملاذ كُرد"، وهباً بعدها للعثمانيين، فكانت معركة فاصلة في تاريخ المسلمين، من مواقفه أنه عندما تولى السلطة خلفاً لعمِّه، لم يرتضيه بعض القادة، بعض قادة الجُند لم يرتضوا ولايته بعد عمِّه، وبدأوا يتراسلون فيما بينهم، يذكرونه بسوء، يتراسلون الأوراق ويذكرونه بسوء، فوقعت المُراسلات في يده، صارت المُراسلات بين يديه بما كان من حديثٍ عنه بسوء، فما كان منه إلا أن دعا جميع القادة، وفيهم هؤلاء الذين أسأوا إليه، وزبما عرفهم وعرف من الكتاب، لكنه جمع الجميع وفيهم هؤلاء، ثم خطبَ فيهم ففتحهم على وحدة الصف وجمع الكلمة ونبد الفرقة، ثم أخرج المُراسلات وأوقد ناراً بين يديه وقال: لقد علمت بخبرها، ولم إشأ أن أعلم من هم أصحابها - لا أريد أن أعلم - وها أنا ألقها أمامكم أحرقها، ليبقى حبل المودة بيننا جميعاً، ولتبقى وحدتنا هي مستقبلنا، فهتف الجميع له وأبدوه، وكان ذلك سبباً في الاجتماع والنصر.

المُتغافل ليس غافلاً بل هو كَيِّسٌ قَطينٌ:

التعافُلُ أَيْهَا الْكَرَامَ لَيْسَ غَفْلَةً، أَنْتَ أَحْيَاناً يَصْنَعُ وَلَدُكَ شَيْئاً وَأَنْتَ تَرَاهُ وَتُعْرِضُ عَنْهُ، أَنْتَ لَسْتَ غَافِلاً عَنْهُ، لَكِنْ أَنْتَ لَا تَرَى الْآنَ الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ لِتُوجِّهَهُ، أَوْ أَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ أَنْتَ لَا تَرْضِيهِ لَكِنَّهُ لَيْسَ سَيِّئاً إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَقْتَضِي تَدْخُلَكَ، فَتَتَغَافَلَ عَنْهُ وَأَنْتَ تَرَاهُ، فَالتَّعَافُلُ لَيْسَ غَفْلَةً، قَالُوا:

فالتَّعَافُلُ لَيْسَ غَفْلَةً، وَلَا ضَعْفًا، وَلَا عَدَمَ دِرَاجَةٍ بِالْمَكْرِ، وَالتَّعَافُلُ لَيْسَ غَافِلاً بَلْ هُوَ كَيْسٌ قَطِنٌ، لَكِنَّهُ يُظْهِرُ الْغَفْلَةَ أَحْيَاناً فَيَصِلُ مِنْ خِلَالِهَا إِلَى أَفْضَلِ مَا يُرِيدُ.

التعافُل لا يكون مع المجرمين ولا مع الأعداء بل يكون مع المؤمنين:

التعافُل لا يكون مع المجرمين، ولا مع الأعداء الماكِرين المُتَرَبِّصِينَ، وَلَكِنْ يَكُونُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ قَرِيبٍ تَخْشَى قَطِيعَتَهُ، مَعَ صَدِيقٍ تُقَدِّرُ طَرَفَهُ، مَعَ مُؤْمِنٍ لَا تُرِيدُ فَضِيحَتَهُ، مَعَ مُوقِفٍ يَجِبُ تَجَاهُلُهُ، إِذَا قَرَأْتَ تَعْلِيْقًا فَاسِيًّا عَلَى صَفْحَتِكَ فِي مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَغَافَلَ عَنْهُ، لَكِنِّي لَا تَقْطَعُ حَبْلَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ فُلَانٍ؟ أَوْ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسَيِّرَهُ فِي نَفْسِكَ؟ تَحْتَفِظُ بِهِ دُونَ أَنْ تَبُوحَ لِأَحَدٍ بِهِ؟ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْذِفَهُ بِهَدْوٍ وَاتِّهَى الْأَمْرُ؟ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْدَّ عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْأَقْوَالِ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَخْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)

(سورة فصلت)

هذا هو التعافُل، أَمْ أَنَا قَدْ تَعَوَّدْنَا أَنْ نَرْدَّ الْكَلِمَةَ بِأَسْوَأَ مِنْهَا؟ لَنَلَّا نَفْقِدَ قَبِيْلَتَنَا وَكَرَامَتَنَا كَمَا نَعْتَقِدُ، أَلَمْ نَقْرَأْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْتَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ يَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْتَسِفُ عَنْهُ كُرْبَةٌ، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْنَشِيَّ مَعَ أَحٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -بِعَنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّبَهُ أَمَضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَسَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَنْهَيَا لَهُ أَتَيْتَ اللَّهَ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرْوُلُ الْأَقْدَامِ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُعْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُعْسِدُ الْحَلَّ الْعَسَلَ {
(أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ وَأَبُو الشَّيْخِ فِي التَّوْبِيخِ وَالتَّنْبِيهِ)

يُمْكِنُ أَنْ تُمَضِّي غَيْظَكَ، وَأَنْ تُفَرِّغَ كُرْهَكَ، وَأَنْ تُفَرِّغَ مَشَاعِرَكَ السَّلْبِيَّةَ تَجَاهَ فُلَانٍ، تَسْتَطِيعُ، لَكِنَّكَ كَظَمْتَهُ فَيَمْلَأُ اللَّهُ قَلْبَكَ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَتَبَاهَى أَحَدُهُمْ وَيَقُولُ: كُلُّ النَّاسِ يَخْشَوْنَ رَدَّةَ فَعْلِي، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي أُرْدُّ الصَّاعَ صَاعِينَ، أَلَمْ يَقْرَأْ قَوْلَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ اسْتَأْذِنْ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عِنْدَهُ فَقَالَ بَنَسُ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ أَخُو الْعَشِيرَةِ ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فَأَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتُ لَهُ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلْنْتُ لَهُ الْقَوْلَ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ النَّاسُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً
فُحْشِيهِ {

(أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ)

التعافُل ليس غفلة بل هو اختيارٌ واعٍ لترك بعض ما لا يستحق الوقوف عنده:

يقول آخر: أَنَا صَاحِبُ لَا أَفُوتُ وَاحِدَةً وَلَا أَتَغَافَلَ عَنْ كَلِمَةٍ، لِذَلِكَ يَحْتَرِّمُنِي جَمِيعُ النَّاسِ، وَبِهَابُونَنِي، وَبُكَرْمُونَنِي، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي لَا أَفُوتُ وَاحِدَةً، لَا أَتَغَافَلَ عَنْ وَاحِدَةٍ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ يَا عَائِشَةُ: إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرِمُونَ اتِّقَاءً أَلْسِنَتَهُمْ {

يقول لك: أكرمه هذا لسانه طويل، لا أحد يتكلم معه، يظن نفسه أنه مُفلحٌ وهو خاسر، وهو من شرّ الناس لأن الناس يهابون لسانه، تتحدّث عن العلاقة بين المؤمنين وليس مع الأعداء.

قد ينسى أحد أفراد الأسرة أن يُعيد شيئاً إلى مكانه، فتُعيدُه أنت وتتعاقل، انتهت المُشكلة، قد يتأخر قريبٌ أو صديقٌ عن مواعده، والموعد ليس مُهمّاً جداً فتأخّر، فتتعاقل لنُلاً تُجرجه، فتحافظ على الموَدّة، ربّما ينسى الزوج أو تنسى الزوجة مُناسبةً ما، أو طلباً بسيطاً طلبه الزوج من زوجته أو العكس، فيتعاقل عن ذلك حفظاً للمودة بين الزوجين، قد يخطئ طفلٌ ما خطأ بسيطاً فتتجاهله، وتتركُ توجيهه إلى وقتٍ لاحق.

التعاقل أُنْها الكرام ليس غفلةً، بل هو اختيارٌ وإِعْ لترك بعض ما لا يستحق الوقوف عنده، حفاظاً على القلوب والعلاقات، كان الشافعي رحمه الله يقول: "العَطْلان ليس مَن يجهل الأخطاء، وإنما يعرف متى يتجاوز عنها ومتى يُعالجها".

أُنْها الإخوة الكرام: التعاقل والتعاقر فضيلتان، فإذا رأيت زلّةً من أخيك، أو وقف موقفاً لا يُرضيك، فإن استطعت أن تتعاقل فافعل ولا تُجرجه، ولا تُحمّر وجهه، ثم إن كنت أعظم منزلةً عند الله فاغفر، التعاقل والتعاقر.

أُنْها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنخذ جذرنا، الكيِّس مَن دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من اتّبع نفسه هواها وتمتّع على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك غمّنا، واكفنا اللهم شرّاً ما أهمنا وأغمّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنّة توقّنا، نلّفاك وأنت راضٍ عتّا.

لا إله إلا أنت سُبحانك إنّنا كُنّا من الظالمين وأنت أرحم الراحمين، وارزقنا اللهم حُسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلّفاك وأنت راضٍ عتّا، أنت حسبنا عليك اتكالنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبَّنَا طَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

(سورة الأعراف)

اللهم إنّنا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قولٍ وعمل.

اللهم إنّنا نسألك رضاك والجنّة ونعوذ بك من سخطك والنار يا عزيز يا غفّار.

اللهم يا أرحم الراحمين كُنْ لأهلنا المُستضعفين في عِزّة، كُنْ لأهلنا في فلسطين والسودان، كُنْ لأهلنا المُستضعفين في كل مكان عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتقبلاً واغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا.

اللهم ابسط أمانك وأمانك على بلادنا، واجعل هذا البلد آمناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

ووفق القائمين على بلادنا للعمل بكتابك وبتنبيك صلى الله عليه وسلم، رُدّ عن بلادنا كيد الكائدين، ومكر الماكرين بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلّى وسلّم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.